جمعية أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

٥

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد الشيخ/ أحمد بن سليمان

إعداد
اللجنة العلمية

أهمية الأخلاق في حياة الدعاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد

فإن الدعوة إلى الله تعالى رسالةٌ عظيمةٌ وشرفٌ كبيرٌ اختص الله به من شاء من عباده الذين حملوا شرف هذه المهمة، وقاموا بها على منهج الأنبياء والرسل الكرام – عليهم أفضل الصلاة والسلام –، فهم يجتهدون في تبليغ دين الله تعالى للآخرين في كل زمانٍ وأي مكان تحقيقاً لقوله عز وجل: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يوسف: ١٠٨).

ولا يكتمل هذا الشرف إلا بأوصاف طيبة وأخلاق حسنة تزيد من مكانة الدعاة وترفع من شأنهم عند رب العالمين سبحانه وتعالى

فالخلق الحسن من أجمل ما يتحلى به الدعاة، وهو أقصر طريق لقلوب الناس، بل إن شئت هو في نفسه دعوة، وقد وصف الله تعالى به نبيه ﷺ فقال: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم: ٤).

وقد جُمع حسن الخلق في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف: ١٩٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال ﷺ: " وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " وَهُوَ حَقُّ النَّاسِ. وَجِمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بِالسَّلَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالزِّيَارَةِ لَهُ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَك مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَك فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ. وَبَعْضُ هَذَا وَاجِبٌ وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبٌّ. وَأَمَّا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ فَهُوَ الدِّينُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقًا هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ وَهُوَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ كَمَا {قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ} وَحَقِيقَتُهُ الْمُبَادَرَةُ إلَى امْتِثَالِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِطِيبِ نَفْسٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ. وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ فِي وَصِيَّةِ اللَّهِ فَهُوَ أَنَّ اسْمَ تَقْوَى اللَّهِ يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ إيجَابًا وَاسْتِحْبَابًا وَمَا

نَهَى عَنْهُ تَحْرِيمًا وَتَنْزِيهًا وَهَذَا يَجْمَعُ حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ الْعِبَادِ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَارَةً يَعْنِي بِالتَّقْوَى خَشْيَةَ الْعَذَابِ الْمُقْتَضِيَةَ لِلانْكِفَافِ عَنْ الْمَحَارِمِ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ: {قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ. قِيلَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالَ: الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ} . وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا} فَجَعَلَ كَمَالَ الْإِيمَانِ فِي كَمَالِ حُسْنِ الْخُلُقِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِيمَانَ كُلَّهُ تَقْوَى اللَّهِ.(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: (حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل)(٢).

والخلق الحسن من العوامل المهمة في جذب الناس إلى الداعية وتأثرهم به وقبولهم لدعوته -إضافة إلى أجره في الآخرة-، فالناس مفطورون على محبة الفضائل والانجذاب إليها، والنفور من القبائح والابتعاد عنها، والدعية إلى الله أحوج ما يكون إلى التخلق والاتصاف بالأمور المحببة إلى قلوب الناس، فضلا عن أنها من واجبات المسلم.

قال أبو حاتم البستي رحمه الله: الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها (٣).

---

(١)مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٦٥٨-٦٥٩.

(٢)مدارج السالكين ٢/ ٣٠٨.

(٣)روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٤.

وإني لأتعجب من بعض الأدعياء حينما يتصفون بصفات السوء كيف يقبل الناسُ منهم نصحًا، فالناس إذا لاحظوا من الداعية سوءا في أخلاقه نفروا من دعوته، خوفا من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يميلون إلى تفضيل أهل الفسق والضلال ومجالستهم، إذا آنسوا منهم حسنا في الخلق ورفقا في المعاملة، ولعل السنوات الأخيرة التي عايشناها ولا زلنا خير شاهد على هذا

قال الفضيل بن عياض: " إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء، ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيء الخلق إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله، وخفَّ على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه. "(١)

وحسن الخلق يبذل حتى مع الأعداء، فإنه يقلب البغض حبا، ويبدل العداوة بالولاية الحميمة، وقد قال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [فصلت: ٣٤]، فَإِذَا حَسُنَتْ أَخْلاَقُ الْإِنْسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصِّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغِضَابُ، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء(٢).

فالله نسأل أن يحسن أخلاقنا وأن يرزقنا الإخلاص والتوفيق والسداد
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه
أبومحمد/ صالح حسون

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٦٤).

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٣ بتصرف.

فضل الغني في شرح آية الكرسي

مقدمة فضل آية الكرسي تفسير الآية

مقدمة:

لا شك أن تدبر القرآن من أسمى العلوم التي ينبغي للمسلم الحرص عليه ليمكنه ذلك من فهم معاني القرآن الكريم، إلا أن الشرع عظم شأن بعض آياته وسوره؛ لعظم ما تضمنته من معان، وكل معاني القرآن عظيمة، وإن أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي؛ ففيها من المعاني ومن صفات الله وأسمائه وتنزيهه ما لا يحيط به إنسان، ولا يسطره بنان.

ومن تأمل هذه الآية وتدبرها ظهر له من هذه المعاني ما يُعرّفه بقدر هذه الآية، وفضلها وعلوّ منزلتها، فحريّ بكل مسلم أن يحفظها، وأن يعي تفسيرها؛ ليكون له عند الله الثواب العظيم، والأجر الجزيل.[١]

فضل آية الكرسي:

هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات.[٢]

قال شيخ الإسلام: وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ وَاحِدَةٌ تَضَمَّنَتْ مَا تَضَمَّنَتْهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ.[٣]

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ وَأَعْظَمُ آيَةٍ، وَنَزَلَتْ لَيْلاً وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ، زَيْدًا فَكَتَبَهَا.[٤]

---

(١) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم (٣/ ١)

(٢) تفسير السعدي (ص: ١١٠)

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٠)

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٨)

ومما يبين فضل هذه الآية ما يأتي:

١- أنها حَوَت اسم الله الأعظم، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فِي ثَلاَثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ) قَالَ الْقَاسِمُ بن محمد رحمه الله: (فَالْتَمَسْتُه فإذا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). (١)

٢- آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، والدليل حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟) قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: (وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ). (٢) أي ليكن العلم هنيئا لك. وهذا دليل على كثرة علمه.

٣- آية الكرسي يحفظ الله بها عبده من الشيطان بالليل والنهار، والدليل حديث ابن أبي بن كعب، أَنَّ أَبَاهُ أبي بن كعب رضي الله عنه، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ، وَكَانَ أُبَيٌّ يَتَعَاهَدُهُ فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ تُشْبِهُ الْغُلاَمَ الْمُحْتَلِمَ، قَالَ: فَسَلَّمَتْ فَرَدَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ، أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ قَالَ: جِنٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَنِي يَدَهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمتِ الْجِنُّ، مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ لَهُ أُبَيٌّ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ أُبَيٌّ: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٤) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧١)

(٢) رواه مسلم (٨١٠)

قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ أُبَيٌّ فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (صَدَقَ الْخَبِيثُ). (١)

لذلك قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا قرأها الإنسانُ عند الأحوال الشيطانية بصدقٍ أبطلتْها. (٢)

٤- آية الكرسي يحفظ الله بها بيوت المسلمين من كيد الشياطين، والدليل حديث **أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ (٣) فِيهَا تَمْرٌ، فَكَانَتْ تَجِيءُ الغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ: فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، " قَالَ: فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ)؟ قَالَ: حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ: فَقَالَ: (كَذَبَتْ، وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ)، قَالَ: فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ)؟ قَالَ: حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ. فَقَالَ: (كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ)، فَأَخَذَهَا. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا، آيَةَ

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٧٣٠) والحاكم (١/ ٧٤٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٨)

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ١٧٠)

(٣) (السهوة) بفتح السين المهملة: هي الطاق في الحائط يوضع فيها الشيء. وقيل: المخدع بين البيتين. وقيل: هو شيء شبيه بالرف.

وقيل: بيت صغير كالخزانة الصغيرة.

الغُولُ: أَحَدُ الغِيلاَن، وَهِيَ جِنْس مِن الْجِنِّ وَالشَّيَاطِين، كَانَتِ العَرب تَزْعُم أَنَّ الغُول فِي الفَلاة تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فتَتَغَوَّلُ تَغَوُّلًا:

أَيْ تَتَلَوّن تلَوُّنا فِي صُوَر شَتَّى، وتَغُولُهُم أَيْ تُضِلُّهم عَنِ الطَّرِيقِ وتُهْلِكهم، فَنَفاه النبي ﷺ، وأَبْطَله بقَوْله (لَا غُولَ). ومعنى قَوْله (لَا غُولَ) لَيْسَ نَفْياً لعَين الغُول ووجُودِه، وَإِنَّمَا فِيهِ إِبْطَالُ زَعْم الْعَرَبِ فِي تَلَوُّنه بالصُّوَر المخْتَلِفة واغْتِيَالِه، فَيَكُونُ المعْنى بِقَوْلِهِ (لَا غُولَ) أَنَّها لَا تَسْتَطيع أَنْ تُضِلَّ أَحَداً. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦)

الكُرْسِيِّ، اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ)؟ قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ، قَالَ: (صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ). (١)

٥- آية الكرسي يحفظ الله بها عبده من الشيطان عند نومه: والدليل حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، . . . وفيه: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: (مَا هِيَ)، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ)، قَالَ: لاَ، قَالَ: (ذَاكَ شَيْطَانٌ). (٢)

٦- من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت: والدليل حديث **أَبِي أُمَامَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ). (٣)

- تفسير الآية

هذه الآية مشتملة على عشرة محاور التي هي أعظم أصول الإسلام وهي:

- المحور الأول: تقرير انفراد الله جل وعلا بالألوهية دون سواه

وهذا في الجملة الأولى من الآية في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

فَقَوْلُهُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ} إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِلَهِيَّةِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ. (٤)

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٠) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٧)

(٢) رواه البخاري (٢٣١١)

(٣) رواه النسائي (٩٨٤٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٣)

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨)

فالله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على جميع خلقه.

وهَذَا الاسم أعظمُ أَسمَاء الله عز وَجل التِّسْعَة وَالتسْعين لِأَنَّهُ دَال على الذَّات الجامعة لصفات الإلهية كلهَا حَتَّى لَا يشذ مِنْهَا شَيْء، وَلِأَنَّهُ أخص الْأَسْمَاء إِذْ لَا يُطلقهُ أحد على غَيره لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازًا. (١)

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} كلمة التوحيد التي تتضمن النفي والإثبات، نافية جميع ما يعبد من دون الله، مثبتة العبادة لله وحده، فلا معبود بحق إلا الله عز وجل.

فهذه الجملة تنفي نفيا قاطعا الألوهية الحقة إلا لمن يستحقها، وهو رب العالمين. { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: ٦٢]

{لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ} كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلاَمِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلاَمِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلاَ تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟.

فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلاً.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ " أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً. **زاد المعاد لابن القيم (١/ ٣٦)**

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص: ٦١)

المحور الثاني: إثبات جميع الكمالات لله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله وذلك من خلال إثبات اسمي (الحي القيوم) وصفتي الحياة والقيومية

كان ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: أعظم أسماء الله عزّ وجلّ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. (١)

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: عَلَى هَذَيْنِ الاِسْمَيْنِ مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا. فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، ولَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ - تَعَالَى - أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ.

وَأَمَّا "الْقَيُّومُ "فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ الْقويمُ بِنَفْسِهِ، فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، فَلاَ قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ. فَانْتَظَمَ هَذَانِ الاِسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَتَمَّ انْتِظَامٍ. (٢)

قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ، { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان: ٥٨] **وقال سبحانه** { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨]

وقال تعالى { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦، ٢٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: (أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ). (٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قال للناس عند وفاة رسول الله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ. (٤)

---

(١) تفسير الثعلبي (٢/ ٢٣٠)

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٧٨)

(٣) رواه مسلم (٢٧١٧)

(٤) رواه البخاري (٤٤٥٤)

والقيوم: كامل القيومية، وله معنيان:

١ – هو الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه ودليله قوله تعالى: {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.

٢ – وهو الذي قامت به السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات، ودليله قوله تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}. (١)

وَاقْتِرَانُ اسم القيوم باسم الْحَيِّ يَسْتَلْزِمُ سَائِرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَدُلُّ عَلَى بَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، وَانْتِفَاءِ النَّقْصِ وَالْعَدَمِ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا. (٢)

المحور الثالث: نفي جميع صفات النقص عن الله وإثبات كمال ضدها له سبحانه. وذلك متمثل في قوله تعالى{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}

فهاتان صفتان سلبيتان، منفيتان عن الله لإثبات كمال ضدهما وهما كمال حياته سبحانه وقيوميته، وهذا مسلك أهل السنة مع جميع الصفات السلبية التي وردت في القرآن والسنة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّفْيَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ إلَّا إذَا تَضَمَّنَ إثْبَاتًا، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ النَّفْيِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ؛ وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءِ.

فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ: يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحَيَاةِ وَالْقِيَامِ؛ فَهُوَ مُبَيِّنٌ لِكَمَالِ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. (٣)

وَمعنى السِّنَة: النُّعَاسُ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ. **وَالنُّعَاسُ** مَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ فَإِذَا صَارَ فِي الْقَلْبِ صَارَ نَوْمًا. (٤)

فَقَوْلُهُ: {لَا تَأْخُذُهُ} أَيْ: لَا تَغْلِبُهُ سِنَةٌ وَهِيَ الْوَسَنُ وَالنُّعَاسُ وَلِهَذَا قَالَ: {وَلا نَوْمٌ} لِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السِّنَةِ. (١)

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٨٢/ ٩٧)

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٧٨)

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥ – ٣٦) باختصار

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٢)

والإنسان وغيره من المخلوقات محتاج إلى الله في يقظته ونومه، لكن الخالق المتصف بالقيومية وتلك الصفة تنافي السنة والنوم، لأنه - عز وجل - لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، **فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري** رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)). (٢) **فالله مُنَزَّهٌ** عَنْ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُنَاقِضُ كَمَالَ الْحَيَاةِ والقيومية فَإِنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ كَمَا لَا يَمُوتُونَ. (٣)

المحور الرابع كمال ملك الله تعالى وسلطانه

وتقرير ذلك في قوله {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

واللام في قوله (له) للملك فهو سبحانه يملك كل شيء ملكا تاما، وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم، وكل ما حقه التأخير إذا تقدم فهو يفيد الحصر، فبذلك يكون سبب تقديم الخبر حصر ملكية السماوات والأرض وما فيهن لله - عز وجل - دون سواه، لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته. (٤)

ففي هذه الآية إِخْبَارٌ بِأَنَّ الْجَمِيعَ عَبِيدُهُ وَفِي مُلْكِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ كَقَوْلِهِ: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}. (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٦٧٨)

(٢) رواه مسلم (١٧٩)

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ١٨١)

(٤) مجلة البحوث الإسلامية (٨٢/ ١٠٢)

(٥) تفسير ابن كثير(١/ ٦٧٩)

ويتفرع على كون الملك لله ألا نتصرف في ملكه إلا بما يرضاه. (١)

المحور الخامس بيان عظمة الله تعالى وكبريائه وقهره لجميع خلقه وتقرير ذلك في قوله تعالى{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}

والمعنى أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن. (٢)

وفِي هَذَا الِاسْتِفْهَامِ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَالتَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ لَهُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. (٣)

وهذا كَقَوْلِهِ تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النَّجْم: ٢٦] وَكَقَوْلِهِ: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى} [الْأَنْبِيَاء: ٢٨] وَهَذَا مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ. (٤)

فَنَفْيُ الشَّفَاعَةِ بِدُونِ إِذْنِهِ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ مُلْكِهِ؛ وغناه عن خلقه، وافتقار الخلائق جميعا له، **عَنْ أَبِي ذَرٍّ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي)). (٥)

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالشَّفَاعَةِ إِلَيْهِ فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ يَقُولُ: {اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ} أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ؛ وَكَانَ

---

(١) تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨)

(٢) تفسير السعدي (ص: ١١٠)

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣١١)

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩)

(٥) رواه مسلم (٢٥٧٧)

مَقْصُودُهُ أَنَّهُمْ يُؤْجَرُونَ عَلَى الشَّفَاعَةِ وَهُوَ إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ. (١)

ومعنى الشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. (٢)

وهي نوعان: ١ - شفاعة مثبتة. **٢** - وشفاعة منفية.

أما المثبتة: فهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد وهي مقيدة بأمرين:

١ - إذن الله للشافع أن يشفع. **٢** - رضاه عن المشفوع له. (٣)

لذلك فإن النبي ﷺ، صاحب المقام المحمود الذي سيحمده عليه جميع الخلائق في عر صات القيامة عندما يطلب الخلائق منه أن يشفع لهم لبدء الحساب، فيخرُّ تحت العرش ويحمد الله بمحامد يفتح الله عليه بها ويستأذن ربه في الشفاعة فيأذن له.

وأخبر ﷺ، أنه قد ادخر دعوته للشفاعة يوم القيامة، كما في **حديث أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا). (٤)

والشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: **٢٥٤**].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٩)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٣٠)

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٨٢/ ١٠٦)

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٩)

ونردُّ بهذا على الخوارج والمعتزلة الذين ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأن مذهبهما أن فاعل الكبيرة مخلد في النار لا تنفع فيه الشفاعة. (١)

المحور السادس إِحَاطَة عِلْمِ الله تعالى بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَذلك في قَوْله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}.

إنه العلم المحيط الشامل الكامل يقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧] معهم أينما كانوا بعلمه، بقدرته، بإرادته، بإحاطته، بقهره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ: مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ: {وَمَا نَتَنزلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}. (٢)

وعِلمُ الله – جل وعلا – علم محيط بكل شيء فهو العليم الذي أحاط علمه بالعلم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، قال تعالى {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [طه: ٩٨]

وقال تعالى{ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]

فالله – سبحانه وتعالى – يعلم ما كان وما سيكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم أحوال المكلفين قبل إنشائهم وحين أنشأهم وبعد مماتهم وبعدما يحييهم، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. (١)

---

(١) تفسير العثيمين (٣/ ٢٦٠)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩)

وبهذا نستطيع الرد على القدرية الغلاة؛ فإثبات عموم العلم يرد عليهم؛ لأن القدرية الغلاة أنكروا علم الله بأفعال خلقه إلا إذا وقعت. (٢)

المحور السابع عجز العباد عن أن يحيطوا بشيء من علم الله إلا بمشيئته وتقرير ذلك في قوله: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ}

أَيْ: لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إلا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طَهَ: ١١٠]. (٣)

فلما بيَّن سبحانه قهره لهم بعلمه، بين عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بعلمه فقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ}. أي قليل ولا كثير {مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}. فبان بذلك ما سبقه، لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته، فكان منزها عن الكفؤ متعاليا عن كل عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلا بإذنه لأنه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده. (٤)

فَنَفَى أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ لَيْسَ إِلَّا أَنَّهُ مُنْفَرِدٌ بِالتَّعْلِيمِ، فَهُوَ الْعَالِمُ بِالْمَعْلُومَاتِ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا بِتَعْلِيمِهِ، كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢]

وقال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ((يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ)). (٥)

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٨٢/ ١١٤)

(٢) تفسير العثيمين (٣/ ٢٦٠)

(٣) تفسير ابن كثير(١/ ٦٧٩)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(٤/ ٣٣)

(٥) رواه البخاري (١٢٢)

وقال مخاطباً مُعَلِّمَ البشرية ﷺ، { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣]

وقال سبحانه ممتناً على جميع خلقه{ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [النحل: ٧٨]

وبيَّن سبحانه أنه علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم فقال { الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٤، ٥]

واختصَّ الله جل وعلا نفسه بعلم بعض الأشياء لم يطلع عليها أحداً من خلقه ليبين لهم عجزهم وعدم قدرتهم على إدراك علم شيء لم يعلمهم إياه، فقال تعالى{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤]

وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النَّبِيّ ﷺ، قال: ((فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ)). ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الآيَةَ. (١)

المحور الثامن: عِظمُ المخلوقات يدلُ على عظمة الخالق

وتقرير ذلك في قوله تعالى{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}

أي شمل، وأحاط، كرسيه بالسماوات والأرض.

فسبحان الخالق العظيم الذي خلق وأبدع هذه المخلوقات العظيمة التي لا يستطيع العقل تصور قدرها ولا الإحاطة بها فما ظنك بمن خلقها؟! ، **عَنْ أَبِي ذَرٍّ** رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى الْحَلَقَةِ). (١)

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩)

قال الألباني رحمه الله: وهذا الحديث صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا. وفيه ردٌّ على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان، كما جاء في بعض التفاسير. وما روي عن ابن عباس أنه العلم، فلا يصح إسناده إليه. (٢)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَوْ أن السموات السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بُسِطْنَ ثُمَّ وُصِلْنَ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ مَا كُنَّ فِي سِعَةِ الْكُرْسِيِّ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ فِي الْمَفَازَةِ. (٣)

وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب. (٤)

المحور التاسع كمال قوة الله وقدرته وأنه منزه عن العجز والتعب وتقرير ذلك في قوله تعالى{وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}

أَيْ لَا يُثْقِلُهُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ حفظُهما. وهذا دليل على أن السموات، والأرض تحتاج إلى حفظ؛ لقوله تعالى: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}؛ ولولا حفظ الله لفسدتا وزالتا؛ **لقوله تعالى:** { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [فاطر: ٤١]

---

(١) رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة (٢/ ٦٤٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٢) وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٣)

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٢٦)

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠)

(٤) تفسير السعدي (ص: ١١٠)

وقال تعالى{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج: ٦٥]

تأمل مدى قوة الله وقدرته، هذه القوة والقدرة التي أمسك بها السماء التي مسيرة سمكها خمسمائة عام، أن تزول أو تقع على الأرض، وهي ليست سماء واحدة بل سبع سماوات. . . . حقاً{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. (١)

* فيا مَنْ سلكتَ طريقَ الهداية ثِقْ تماماً أن الذي حفظ السماوات والأرض من الزوال بقدرته، قادر على حفظ عبده من كيد أعدائه: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر: ٣٦، ٣٧]

* و يا مَنْ سلكت طريق الغواية، وتجرأت على الحرمات، أتدري أنك تعرض نفسك لسخط مِنْ؟ أُحَذِّرُك ونفسي من عذاب الله: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة: ١٦٥]

المحور العاشر: إثبات العلو لله تعالى بكل أنواعه

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦)

وتقرير ذلك في قوله تعالى{ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

{وهو العلي} بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته **{العظيم}** الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء.[1]

وعلوّ الله عند أهل السنة، والجماعة ينقسم إلى قسمين؛ **الأول: علو الذات**؛ بمعنى أنه سبحانه نفسه فوق كل شيء؛ وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة؛ وتفصيل هذه الأدلة في كتب العقائد.

والقسم الثاني: علو الصفة: وهو أنه كامل الصفات من كل وجه لا يساميه أحد في ذلك؛ وهذا متفق عليه بين فرق الأمة، وإن اختلفوا في تفسير الكمال.

وإثبات العلو يتضمن الرد على الحلولية، وعلى المعطلة النفاة؛ فالحلولية قالوا: إنه ليس بعالٍ؛ بل هو في كل مكان؛ والمعطلة النفاة قالوا: لا يوصف بعلو، ولا سفل، ولا يمين، ولا شمال، ولا اتصال، ولا انفصال.[2]

وهو سبحانه مع علوه على عرشه فوق سماواته، فهو قريب من عباده محيط بهم يرى أعمالهم ويسمع سرهم ونجواهم، لا تخفى عليه خافية من أمرهم.

وأخيرًا: فهذه آية الكرسي، أعظم آية في كتاب الله، احفظها، حافظ على تلاوتها صباحا ومساء وعند نومك، تدبر معانيها وما فيها من صفات الله العظيمة وأسمائه الحسنى الكريمة حتى يزداد بذلك إيمانك بالله ويشتد تعظيمك له ولكتابه، ويحفظك الله بها في الدنيا من الشياطين، ويرفع درجتك بها في الآخرة في المهديين.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١١٠)

(٢) تفسير العثيمين (٣/ ٢٦٢)

قبسات من مشكاة النبوة

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ، بِيَدِي فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ)، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رسول الله، قَالَ: (إِنِّي أُحِبُّكَ)، قُلْتُ: وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ يا رسول الله، قَالَ: (أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاة؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). (١)

راوي الحديث:

هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري ﷺ، أسلم وعمره ثمان عشرة سنة، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، (أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ).(٢)

لذلك اختاره النبي ﷺ، ليكون سفيراً له إلى اليمن ليدعو الناس إلى توحيد الله ويعلمهم أركان الدين، وجاء في الأثر عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يأتي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ يوم القيامة). (٣) أي يحشر يوم القيامة متقدما على العلماء برمية سهم أو حجر. **مات** ﷺ، بناحية الأردن في طاعون عمواس: سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وقيل: أربع وقيل ثمان وثلاثين سنة.

شرح الحديث

*** قوله ﷺ، لمعاذ ﷺ (يَا مُعَاذُ إِنِّي أُحِبُّكَ).**

- فيه بيان لما كان عليه ﷺ، من تواضعه وترفقه وحسن تعليمه لأصحابه ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) وأحمد (٥/ ٢٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٠)

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٨٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٢٨) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢١٦)

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٩) وقال الألباني في الصحيحة (٣/ ٨٣): هذا مرسل صحيح

قال تعالى في وصف نبيه {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: **١٥٩**]

وقال تعالى{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: **١٢٨**]

وصدق فيه قول مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ: بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ. (١)

- وفيه بيان لما ينبغي أن يكون عليه حال الراعي مع رعيته وكل مَن ولاه الله ولاية، لأن الأصل في علاقة الراعي مع رعيته، الرحمة والعطف والتناصح والتواصل والمحبة، وإلا فسدت حياة الناس ووقع بينهم التنازع والتناحر والتقاتل، **فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ). (٢)

- وفيه تعليم وتوجيه للدعاة إلى الله تعالى من سيد الدعاة ﷺ، أن يقدموا بين يدي دعوتهم ما يدل على محبتهم وحرصهم على المدعو، وهذا أدعى لقبول دعوتهم وأسكن لنفوس المدعوين وأشرح لصدورهم.

قال تعالى{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل: **١٢٥**]

*** وفي قول معاذ** ﷺ **((وأنا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ يا رسول الله)).**

- فيه بيان لما كان عليه حال الصحابة ﷺ**، من محبة النبي** ﷺ **محبة صادقة، فهم الذين ضربوا المثل الأعلى في صدق محبتهم لرسول الله** ﷺ**، وإليك هذا المثال،** لما أَسَرَ المشركون زيدَ بنَ الدَّثِنَة ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ. وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ،

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧)

(٢) رواه مسلم(١٨٥٥)

فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ ابْن حَرْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ آمِنًا؟ قَالَ: وَاَللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَة تؤذيه، وأنّى جَالِسٌ فِي أَهْلِي. فقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. (١)

– **وفيه بيان لما يجب على كل مسلم من محبة رسول الله** ﷺ، أكثر من النفس والمال والأهل. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ). (٢)

وعن عَبْد اللَّهِ بْن هِشَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الآنَ يَا عُمَرُ). (٣)

– **وفيه تقرير لسُنَّةٍ علمناها رسول الله** ﷺ، وبيانها في حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ). (٤)

فإذا أخبر المسلم أخاه أنه يحبه، فيقل له: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. وذلك لما ورد في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (أَعْلَمْتَهُ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (أَعْلِمْهُ) قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. (١)

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٢)

(٢) رواه البخاري (١٤)

(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢)

(٤) رواه أبو داود (٥١٢٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٦)

*** وفي قوله: (أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاة؟).**

– **فيه بيان لأسلوب من أساليب الدعوة** بأن تكون الدعوة في صيغة سؤال، للفت انتباه السامع ليحضر قلبه ويصغي سمعه فيكون ذلك أدعى لتأثره بما يسمعه وأسرع استجابة.

– **واختلف أهل العلم في المقصود بدبر الصلاة** في هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الدعاء، فقال بعضهم: المقصود به الدعاء بعد الانتهاء والسلام من الصلاة، وهو قول له حظه من النظر والاستدلال، وعليه جمهور أهل العلم، وقال آخرون منهم ابن تيمية وابن القيم: المقصود به آخر الصلاة قبل السلام، وهو قول قوي تؤيده المرجحات الآتية:

الأول: أن الغالب استعمال كلمة الدبر للجزء من الشيء، فدبر الحيوان جزء منه، وكذلك دبر الصلاة.

الثاني: أن ما نقل عن النبي ﷺ من فعله بعد الصلاة لم ينقل فيه دعاء، وإنما نقل الاستغفار والتهليل والتسبيح، وغيره من الأذكار.

الثالث: أن الدعاء داخل العبادة أفضل من الدعاء خارجها. (٢)

*** وفي قوله ﷺ: ((قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي))**

– **فيه دليل على ضعف الإنسان وفقره وشدة حاجته لربه جل وعلا، فالموفَّق من وفقه الله، والمخذول من خذَلَه الله عز وجل،** لذلك قال تعالى{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: **١٥**]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)). (١)

---

(١) رواه أبو داود (**٥١٢٥**) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (**٣/ ١٣٩٧**)

(٢) فتاوى الشبكة الإسلامية (**١٠/ ١٥٦٥**)

وهذا رسول الله ﷺ، يعلنها صريحة واضحة، أنَّ العباد جميعا في أشدِّ الحاجة إلى توفيق الله وإعانته وتسديده، حتى لا يغترَّ أحدٌ بعده ﷺ، بسعيه وجهده وعمله، **فعَنِ البَرَاءِ** رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بن رواحة:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا. . . وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا. . . وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا. . . إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. (٢)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ) قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا). (٣)

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله:

يجب أن يعلم كل إنسان أنه لا سبيل لأحد إلى شيء من الفضائل إلا بهداية اللَّه تعالى ورحمته، فهو مبدأ الخيرات ومنتهاها، كما قال تعالى: (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)). وخاطب الناس فقال: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). (٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٤) ومسلم (١٨٠٣)

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦)

(٤) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ١١٩)

وقال تعالى{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً} [النساء: ٨٣] وقال سبحانه{ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [البقرة: ٦٤]

تبرأ من حولك وقوتك والجأ إلى حوله وقوته واستعن به، وتوجه إليه واطلب منه. .

والزم: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥]

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]. (١)

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي إفْرَادِهِ تَعَالَى بِالِاسْتِعَانَةِ فَائِدَتَانِ، **فَالْأُولَى** أَنَّ الْعَبْدَ عَاجِزٌ عَنْ الِاسْتِقْلَالِ بِنَفْسِهِ فِي الطَّاعَاتِ، **وَالثَّانِيَةُ** أَنَّهُ لَا مُعِينَ لَهُ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَانُ، وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ. فَالْعَبْدُ أَحْوَجُ إلَى مَوْلَاهُ فِي طَلَبِ إعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ. (٢)

وفي قوله ﷺ: ((قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذكرك))

– هنا سؤال: هل يحتاج الذكر إلى إعانة؟ هل الذكر عملٌ شاق وصعب لهذه الدرجة؟

– فالذكرُ مع سهولته ويسره على كل إنسان صغير وكبير ذكر وأنثى، ومع ما يجلبه من راحة النفوس، وسعة الصدور واطمئنان القلوب، إلا أنك ترى واقع بعض الناس يدل على خلاف ذلك، فتمرُّ الأوقات والساعات والأعمار ثم تجد الحصيلة في غاية الضعف، فما السرُّ في ذلك؟ السرُّ في ذلك ضعف الهمم وقلة الرغبة فيما عند الله، **فعلى قدر إقبالك على الله وصدق نيتك وقوة عزيمتك تكون المعونة من الله تعالى**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٠)

(٢) سبل السلام (٢/ ٦٤٨)

المعونة من الله تنزل على الْعباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عَلَيْهِم على حسب ذَلِك فَالله سُبْحَانَهُ أحكم الْحَاكِمين وَأعلم الْعَالمين يضع التَّوْفِيق فِي موَاضعه اللائقة بِهِ والخذلان فِي موَاضعه اللائقة بِهِ هُوَ الْعَلِيم الْحَكِيم، وَمَا أُتِي من أُتِي إِلَّا من قِبَل إِضَاعَة الشُّكْر وإهمال الافتقار وَالدُّعَاء، وَلَا ظفر من ظفر بِمَشِيئَة الله وعونه إِلَّا بقيامه بالشكر وَصدق الافتقار وَالدُّعَاء، وملاك ذَلِك الصَّبْر فَإِنَّهُ من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد فَإِذا قطع الرَّأْس فَلَا بَقَاء للجسد. (١)

فالله هو الموفق، الله هو الذي يصطفى ويختار. . فالسير في الطريق إلى الله مبنى على الاصطفاء والاختيار، فاذا اختارك واصطفاك هيأك، قال الله تعالى في حق يونس عليه السلام { فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } [القلم: ٥٠]

وكم من إنسان شريف النسب أبعده الله، وكم من إنسان وضيع النسب قربه الله وأدناه، وكل ذلك بعلم وحكمة

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: هبّت عواصف الأقدار فِي بيداء الأكوان فتقلب الْوُجُود وَنجم الْخَيْر فَلَمَّا ركدت الرّيح: إِذا أَبُو طَالب غريق فِي لجة الْهَلَاك، وسلمان على سَاحل السَّلامَة، والوليد بن الْمُغيرَة يقدم قومه فِي التيه، وصهيب قد قدم بقافلة الرّوم، وَالنَّجَاشِي فِي أَرض الْحَبَشَة يَقُول لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك، وبلال يُنَادي الصَّلَاة خير من النّوم، وَأَبُو جهل فِي رقدة الْمُخَالفَة. (٢)

سبحانك يا الله يا عليم يا حكيم، قربت سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، وأبعدت أبا جهل القرشي، وأبا طالب عمَّ النبي، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء: ٢٣]

قال الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ الْقَدَرِ:

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٠)

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشأْ. . . وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ. . . فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ. . . وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ. . . وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ[١]

ـ العبد يحتاج إلى ربه في ردِّ كيد عدوه ـ وهو الشيطان ـ

فالشيطان لا يتوقف مكره بالإنسان ليلا ولا نهارا، يأتي الإنسان عن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه بلا هوادة، ولن يردَّ كيده في نحره إلا مَنْ خلقه ويعلم مكره ووسوسته، لذلك لابد للعبد من اللجوء إلى الله

قال ابن القيم رحمه الله:

فلا نجاة للعبد من مصائد الشيطان ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذى هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان {إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر: ٤٢]. [٢]

وحكي عَنْ بعض السلف أنه قَالَ لتلميذه: مَا تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قَالَ: أجاهده. قَالَ: فَإِن عاد؟ قَالَ: أجاهده. قَالَ: فَإِن عاد؟ قَالَ: أجاهده. قَالَ: هَذَا يطول، أرأيت إنْ مررتَ بغنمٍ فنبحك كلبُها أَوْ منعك مِن العبور مَا تصنع؟ قَالَ: أكابده وأرده جهدي. قَالَ: هَذَا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يَكُفُه عنك. [٣]

ـ العبد يحتاج إلى أن يسدده الله في جميع أعماله

---

(١) ديوان الإمام الشافعي (ص: ١٠٧)

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٥)

(٣) تلبيس إبليس (ص: ٣٥)

كم من إنسان يكدّ ويعمل والله عز وجل معرضٌ عنه، بل كلما اجتهد في عمله ازداد من الله بعداً.

كم من وجوه خاشعة وقع على قصص أعمالها {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً}. لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٤٠)

قال تعالى{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]

وقال تعالى{ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ } [التوبة: ٥٣]

وانظر إلى حال الخوارج ماذا قال النبي ﷺ، في وصفهم، كما في حديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عن الخوارج: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ). (١)

لذلك فالعبد في حاجة إلى أن يلجأ إلى ربه حتى يسدده في جميع أعماله، **عَنْ عَلِيٍّ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ،: (قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ). (٢)

وصدق القائل:

إذا لمْ يكنْ عونٌ من اللهِ للفتى. . . فأكثرُ ما يجني عليه اجتهادُهُ

فبدون توفيق الله سبحانه وتعالى للإنسان أول ما يجني عليه هو اجتهاده وعقله الذي حرم من التوفيق وابتلي بالخذلان.

ـ العبد يحتاج إلى أن يثبته الله على دينه حتى يلقاه

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤)

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٥)

فكم من شارف مركبه ساحل النجاة فلما همَّ أن يرقى لعب به موج الهوى فغرق. . . . ، الخلقُ كلُّهم تحت هذا الخطر، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

قال بعضهم: ما العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا. (١)

قال الله تعالى لنبيه وخيرته من خلقه {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً} [الإسراء: ٧٤]

وها هو رسول الله ﷺ، يعلمنا كيف يتبرأُ أحدنا من حوله وقوته ويظهر ضعفَ نفسه لربه وخالقه، كما في حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ،: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)). (٢)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ). (٣)

وسئلتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ). (٤)

فما أحوجنا أن نستعين بربنا وخالقنا في جميع أمورنا لأننا حقا ضعفاء، لأننا حقا لا نستطيع أن نحرك مثقال ذرة من مكانها، إلا بعون الله وقوته ومشيئته.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٤٠)

(٢) رواه النسائي (١٠٣٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠١٣)

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٠) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٧)

(٤) رواه الترمذي (٣٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٧١)

إصـــلاح البيـــوت

نعمة البيت والسكن **أسباب المشكلات المنزلية**
وسائل إصلاح البيوت **صور من بيوت الصالحين**

أولا: نعمة البيت والسكن:

- إن من تمام نعم الله عز وجل على عباده أن جعل لهم بيوتا تؤويهم وتسترهم، وهذه النعمة تستحق الشكر لمن أنعم بها، قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) [النحل: ٨٠].

قال ابن كثير رحمه الله: يَذْكُرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَمَامَ نِعَمِهِ عَلَى عَبِيدِهِ، بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي هِيَ سَكَنٌ لَهُمْ، يَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَيَسْتَتِرُونَ بِهَا، وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا سَائِرَ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ[1].

- كذلك من نعم الله على عباده أن جعل لهم أزواجاً لتتم النعمة عليهم ويحصل لهم السكن والطمأنينة والاستقرار حتى يستطيعوا أن يستقيموا على دينه.

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: ٢١].

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، (أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة. فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيء إلى شيء[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩١).

ثانيا: أسباب المشكلات المنزلية:

١- مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ: وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ(٢).

وعلى هذا فكل مشكلة في أي بيت من بيوت المسلمين السبب الرئيس لحصولها هو مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ. ومن افتتَح حياتَه الزوجيّة بالمخالفاتِ الشرعية فهل ينتظِر التوفيقَ من الله؟! أعني بذلك ما بُلِي به بعضُ المسلمين بما أحاطوا به الأعراسَ والأفراحَ من مخالفاتٍ ومُنكَرات قد تنزِع منه البركةَ وتُفقِده التوفيقَ كالتبرّج واختلاطِ الرجالِ بالنساء والتصويرِ المعلَن والخفيِّ والمعازِفِ والأغاني والتعرّي في اللباسِ وتضييع الصّلوات، هذا بالإضافةِ إلى الإسراف في المباحاتِ في التجهيز والحفلات، حتى تحوَّلت بعض الحفلاتِ إلى طغيانٍ ومعاص(٣).

وقال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: ٣٠].

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها(٤).

٢- عدم الرضا بقضاء الله وقدره: إن الله تعالى قدَّر الأرزاق وكتبها قبل خلق

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٣٩).

(٢) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ١٨).

(٣) المشكلات الزوجية، للشيخ صالح بن محمد آل طالب.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٨).

السماوات والأرض، فعن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)(١).

وقد ميز الله عز وجل بعض خلقه على بعض فخلق منهم الغنى وخلق منهم الفقير، فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، قال تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [العنكبوت: ٦٢]. وقد يظن البعض أن ضيق الرزق سببًا لبعض المشكلات فيلجأ المرء بعد ذلك لطلب الرزق بما يخالف شرع الله، وإنما السبب في ذلك الترف المفرط والتبذير وإنفاق المال في غير حق، وهذا من شؤم الذنب والمعصية.

٣- عدم قيام الزوج بواجب القوامة الشرعية: قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: الرجال أهل قيام على نسائهم، في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم(٢).

وقال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) أَيْ: فِي الْفَضِيلَةِ فِي الْخُلُقِ، وَالْمَنْزِلَةِ، وَطَاعَةِ الْأَمْرِ، وَالْإِنْفَاقِ، وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ، وَالْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النِّسَاءِ: ٣٤](٣).

فالله عز وجل جعل للرجل على المرأة القوامة وخلقه بهذه الصفة ووهبه درجة عليها

---

(١) أخرجه أبوداود(٤٧٠٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠١٨/ ٨٩٠).

(٢)٨ تفسير الطبري (٨/ ٢٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦١٠).

كل ذلك ليقوم على تأديبها والأخذ على يديها إذا وقع منها ما يخالف أمر الله، مثل لو تركت الصلاة، أو لبست زيا مخالفًا للشرع، أو قصرت في حق الله فعليه أن يأخذ على يديها، وإن ما نراه في شوارعنا اليوم من سوء أخلاق وتبرج وسفور وانعدام الحياء من الكثير إلا من رحم ربك، سببه الأساسي هو تقصير الرجل في ما عليه من دور في التربية تجاه من يعول وقد قال النبي ﷺ: (أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(١). لكن لا يفهم من ذلك أن القوامة تعنى التسلط والتعسف والظلم، وإنما هي الرعاية والحفظ والقيام بالمصالح. وقد قال النبي ﷺ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُم)(٢).

ثالثا: وسائل إصلاح البيوت:

١-الاستقامة على طريق الله: من أفضل الوسائل المعينة على إصلاح البيوت هي الاستقامة على طريق الله سبحانه واتباع ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، وأن تكون هذه الاستقامة على الفعل والترك تعظيما لله سبحانه وأمره، وإيمانا به، واحتسابا لثوابه، وخشية من عقابه.

وإن تقوى الله عز وجل لها أثر طيب في حياة الرجل وبعد مماته وفي ذريته، وفي قصة الجدار الذي بناه الخضر في سورة الكهف ذكر أن السبب كان كما ذكر الله: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [الكهف: ٨٢]. وفيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم(٣).

ومثلها قوله تعالى: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [النساء: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (٤٧٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٢)، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٥٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٦).

٢- حسن اختيار الزوجة: فينبغي على صاحب البيت أن يختار الزوجة الصالحة بالشروط التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ)[١]. وإن كان العقد رغبة في الدين فهو أوثق العقود حالا وأدومها ألفة وأحمدها بدءًا وعاقبة؛ لأن طالب الدين متبعٌ له ومن اتبع الدين انقاد له، فاستقامت له حاله، وأمن زلله. ولذلك قال النبي ﷺ: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)[٢].

وفي المقابل إذا جاء خاطب للمرأة فلابد أن يُنظرَ في دينه وخلقه كما قال النبي ﷺ: (إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوه تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)[٣].

فرغب النبي ﷺ في صاحب الخلق لأن الخلق مدار حسن المعاش ورغب في صاحب الدين لأن الدين مدار أداء الحقوق[٤].

٣-عمارة البيوت بالذكر والصلاة وتلاوة القرآن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)[٥].

قوله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) أي خالية عن الذكر والطاعة فتكون كالمقابر وتكونون كالموتى فيها[٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا)[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم(٣٦٢٥).

(٢) أدب الدنيا والدين، لابن أبى الدنيا (ص: ١٥٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٨)، حسنه الألباني صحيح الجامع الصغير(٢٧٠).

(٤) انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٦٠٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٧٤).

(٦) تحفة الأحوذي للمبار كفوري (٨/ ١٤٦).

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)[٢].

قال المَنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: شبَّه النبيُّ ﷺ الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، فالذاكر يزين ظاهره بنور العمل وباطنه وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل[٣].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: التاركُ للذكر وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عز وجل[٤].

وكم من بيوت للمسلمين اليوم ميتة بعدم ذكر الله فيها، بل ما هو حالها إذا كان الذي يذكر فيها هو ألحان الشيطان من المزامير والغناء والغيبة والنميمة والبهتان؟! وكيف حالها وهي مليئة بالمعاصي والمنكرات كالاختلاط المحرم والتبرج بين الأقارب من غير المحارم أو الجيران؟![٥].

٤- حسن التعامل بين الزوجين: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ)[٦].

وقد أوصى الله عز وجل عباده بالرفق في المعاشرة وأن تكون قائمة على المعروف. قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء: ١٩].

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميلُ العِشرة دائم البِشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يتودد إليها

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٣).

(٣) فيض القدير، للمناوي (٥/ ٦٤٦).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للشوكاني (ص: ٢٠).

(٥) المشكلات الزوجية، للشيخ صالح بن محمد آل طالب.

(٦) أخرجه أحمد(٢٤٤٢٧)، وصححه الألباني الصحيحة (١٢١٩).

بذلك. قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: (هذه بتلك)[١]، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ وقد قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب: ٢١][٢].

رابعا: صور من بيوت الصالحين:

إن استقرار البيوت وصلاح الأسر لهو أعظم سبب من أسباب السعادة، وإن استقر البيت وقام على شرع الله وسنة نبيه ﷺ كان نتاجه بإذن الله غالبا إخراج جيل أشد تعظيمًا لحرمات الله عز وجل، محاكيًا للجيل الأول من السابقين. ومن الأمثلة:

بيوت المهاجرين رضوان الله عليهم وعلى رأسهم بيت أبى بكر الصديق رضي الله عنه:

وهو أكمل البيوت حالاً بعد بيت النبي ﷺ جنَّدَ أبوبكر بيته كله لخدمة دين الله عز وجل.

قَالَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ[٣].

كان من نتاجه أن أخرج لنا خير مثال للمرأة المسلمة في العفة والطهارة والعلم ألا وهي عائشة رضي الله عنها قال الذهبي رحمه الله: ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها[٤].

ومنها **بيت الفاروق عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: بيت العدل والإنصاف لم يختلف عن بيت أبى بكر تخرَّج فيه عبدالله و حفصة زوجة النبي ﷺ.

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في الكبرى (٨٨٩٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٥١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٦).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٤٠).

ومن بيوت الأنصار رضوان الله عليهم: بيتٌ خرَّج سعد بن معاذ وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت، ومنها بيت عمرو بن الجموع ومعاذ بن عفراء وغيرهم ﷺ.

ومن بيوت التابعين: بيت سيرين مولى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان من نتاجه محمد ويحيي وأنس وحفصة وكل هؤلاء كانوا من العلماء. وبيت مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ كان فيه ابنته وجاريته كَمَا رُوِيَ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْمُوَطَّأَ فَإِنْ لَحَنَ الْقَارِئُ فِي حَرْفٍ، أَوْ زَادَ، أَوْ نَقَصَ تَدُقُّ ابْنَتُهُ الْبَابَ فَيَقُولُ أَبُوهَا لِلْقَارِئِ ارْجِعْ فَالْغَلَطُ مَعَك فَيَرْجِعُ الْقَارِئُ فَيَجِدُ الْغَلَطَ.

وَكَذَلِكَ مَا حُكِيَ عَنْ أَشْهَبَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَأَنَّهُ اشْتَرَى خَضِرَةً مِنْ جَارِيَةٍ وَكَانُوا لَا يَبِيعُونَ الْخَضِرَةَ إلَّا بِالْخُبْزِ فَقَالَ لَهَا: إذَا كَانَ عَشِيَّةً حِينَ يَأْتِينَا الْخُبْزُ فَائْتِينَا نُعْطِيك الثَّمَنَ فَقَالَتْ: ذَلِكَ لَا يَجُوزُ فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ؟ فَقَالَتْ: لِأَنَّهُ بَيْعُ طَعَامٍ بِطَعَامٍ غَيْرُ يَدٍ بِيَدٍ. فَسَأَلَ عَنْ الْجَارِيَةِ فَقِيلَ لَهُ: إنَّهَا جَارِيَةُ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

وبيت سعيد بن المسيب فيه ابنته، لَمَّا أَنْ دَخَلَ بِهَا زَوْجُهَا - كثير بن المطلب بن أبي وداعة- وَكَانَ مِنْ أَحَدِ طَلَبَةِ وَالِدِهَا فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ أَخَذَ رِدَاءَهُ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إلَى أَيْنَ تُرِيدُ فَقَالَ: إلَى مَجْلِسِ سَعِيدٍ أَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ. فَقَالَتْ: لَهُ اجْلِسْ أُعَلِّمُكَ عِلْمَ سَعِيدٍ[2].

والناظر في سير هؤلاء جميعًا يجد أن بيوتهم قامت على شرع الله وسنة رسوله ﷺ، تلك بيوت القوم فلنسلك سبيلهم وطريقتهم جهدنا، فإن لم نبلغ غايتهم، فأخذ القليل خير من ترك الكثير. فلنقتدي بهدي النبي ﷺ وهدي أصحابه ومن سار على نهجهم حتى تصفو لنا حياتنا ويسلم لنا ديننا.

---

(١) المدخل لابن الحاج (١/ ٢١٥).

(٢) المصدر السابق.

من تصاحب

فضل الصحبة في الله — شروط إختيار الصاحب.
حق الأخوة والصحبة — لا صور من الأخوة في الإسلام.

فضل الصحبة في الله:

إن الاجتماع والألفة نعمة من الله عز وجل أنعم بها على عباده فرضى لهم التوافق والاجتماع والمحبة والألفة وكره لهم الفرقة والتنازع والاختلاف. قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣].

قال قتادة رحمه الله: قوله تعالى: {وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ }إنّ الله عز وجل قد كره لكم الفُرْقة، وقدّم إليكم فيها، وحذّركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمعَ والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله(١). وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ(٢).

وإن من أفضل نعم الله على عبده أن ينعم عليه بأخ يعينه على طاعة الله ورضوانه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ. (٣)

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٧٤).

(٢) أخرجه البخاري(٤٨١)، و مسلم (٦٦٧٧).

(٣) سنن الترمذي ت بشار (٤/ ١٧٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أعطى عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح، وقال أيضاً: إذا رأى أحدكم ودّاً من أخيه فليتمسك به، فقلما تصيب ذلك.

وقد قال بعض الحكماء في معناه كلاماً منظوماً شعراً:

ما نالت النفس على بغية. . . ألذّ من ودّ صديق أمين

مَنْ فاتَه ودّ أخ صالح. . . فذلك المقطوع منه الوتين [١].

وفي القرآن والسنة أدلة كثيرة تدل على عظم الأخوة وفضلها منها:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات: ١٠]، أَيْ: فِي الدِّينِ وَالْحُرْمَةِ لَا فِي النَّسَبِ، وَلِهَذَا قِيلَ: أُخُوَّةُ الدِّينِ أَثْبَتُ مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وَأُخُوَّةَ الدِّينِ لَا تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ النَّسَبِ[٢].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ { مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}[٣]. فأنت إذا أحسست بألم في أطرف شيء من أعضائك، فإن هذا الألم يسري على جميع البدن، كذلك ينبغي أن تكون للمسلمين هكذا، إذا اشتكى أحد من المسلمين فكأنما الأمر يرجع إليك أنت[٤]. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)[٥]. وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/ ٣٦٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم(٦٦٧٨).

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٩٨)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

(٥) أخرجه البخاري(٦٠٦٥)، ومسلم (٦٦١٨).

يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[١]. **وقد رغب النبي ﷺ في الأخوة في الله:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ-منهم- يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ[٢].

شروط اختيار الصاحب:

قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الكهف: ٢٨].

قال السعدي رحمه الله: في هذه الآية الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى[٣].

وقال تعالى: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]

قال القرطبي رحمه الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ} يُرِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. { بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} أَيْ أَعْدَاءٌ، يُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. {إِلَّا الْمُتَّقِينَ} فَإِنَّهُمْ أَخِلَّاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله: "كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ"[٥]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ "[٦].

ولله در القائل:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠). ومسلم (١٠٣١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٧٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٧).

(٦) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)قال الألباني حَسَنٌ غَرِيبٌ وانظر مشكاة المصابيح (٥٠١٩).

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه. . فكل قرين بالمقارن يقتدي.

وذكر الماوردي بعض الْخِصَالُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الإخاء وقال منها أَرْبَعُ خِصَالٍ:

الْخَصْلَةُ الْأُولَى: عَقْلٌ مَوْفُورٌ يَهْدِي إِلَى مَرَاشِدِ الْأُمُورِ. فَإِنَّ الْحُمْقَ لَا تَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَّةٌ، وَلَا تَدُومُ لِصَاحِبِهِ اسْتِقَامَةٌ.

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: الدِّينُ الْوَاقِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْخَيْرَاتِ، فَإِنَّ تَارِكَ الدِّينِ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ مَوَدَّةُ غَيْرِهِ.

وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ مَحْمُودَ الْأَخْلَاقِ مَرَضِيَّ الْأَفْعَالِ، مُؤْثِرًا لِلْخَيْرِ آمِرًا بِهِ، كَارِهًا لِلشَّرِّ نَاهِيًا عَنْهُ. وَلَا خَيْرَ فِي مَوَدَّةٍ تَجْلِبُ عَدَاوَةً وَتُورِثُ مَذَمَّةً، فَإِنَّ الْمَتْبُوعَ تَابِعُ صَاحِبِهِ.

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَيْلٌ إِلَى صَاحِبِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي مُؤَاخَاتِهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي إِنْسَانٍ وَجَبَ إِخَاؤُهُ، وَتَعَيَّنَ اصْطِفَاؤُهُ. وَبِحَسَبِ وُفُورِهَا فِيهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَيْلُ إِلَيْهِ وَالثِّقَةُ بِهِ. (١).

حق الأخوة والصحبة:

والأخوة في الله لا يرجى قبولها عند الله حتى تكون مجردة من أي نفع خاص أو مصلحة خاصة وإنما لابد أن تكون خالصة لله. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٧٤).

الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "(١).

ومن حقوق الأُخوة والصحبة:

١- الحب في الله: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ(٣). **قال النووي** رحمه الله: في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد(٤).

٢-الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات: ومن الإعانة بذل المال إلى أخيك المسلم ومعاونته على قضاء حوائجه ومشاركته في فرحه وحزنه وتنفيس عنه كرباته وإن كان صاحب دين تسد عنه دينه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ(٥). والحديث فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك والتجاوز عنهم والمسامحة

---

(١) أخرجه أحمد(٧٩٦٧). قال الألباني رحمه الله: وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى بن أبي سليم وهو أبو بلج الفزاري الواسطي، وهو صدوق ربما أخطأ كما قال الحافظ. وانظر الصحيحة (٢٣٠٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٣)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٥٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (٦٦٤١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٤).

(٥) أخرجه مسلم (٣٨).

والإنظار للمعسر وحسن المعاملة، وأن من فعل ذلك فإن الله تعالى يتجاوز عنه بذلك ويغفر ذنبه كما قال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠][١].

٣- النظر إلى محاسنهم والتغاضي عن عيوبهم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"[٢].

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: ويستحب لمن اطلع من أخيه المسلم على عورة أو زلة توجب حدا، أو تعزيرًا، أو يلحقه فى ذلك عيب أو عار أن يستره عليه؛ رجاء ثواب الله، ويجب لمن بلى بذلك أن يستتر بستر الله، فإن لم يفعل ذلك الذى أصاب الحد، وأبدى ذلك للإمام وأقر بالحد لم يكن آثمًا[٣]. فإذا رأى الرجل من أخيه سوءًا فليستر عليه ولينصحه سرًا فإن فعل ذلك فقد نصح لأخيه وإن لم يفعل ولم يرفق به فقد فضحه. **قال الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَخَانَهُ)[٤].

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها. . . كفى المرء نبلاً أن تعد معائبهْ

٤-الدفاع عن إخوانه في غيابهم: عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ) [٥].

---

(١) وانظر شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢١)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٧٢).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٥٦٩٠).

وعَنْ عِمْرَانَ بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "(١).

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ لِلْغِيبَةِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ فَمَنْ حَضَرَهُ الْغِيبَةُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُمُورٍ الرَّدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ وَلَوْ بِإِخْرَاجِ مَنْ اغْتَابَ إلَى حَدِيثٍ آخَرَ أَوْ الْقِيَامُ عَنْ مَوْقِفِ الْغِيبَةِ أَوْ الْإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ أَوْ الْكَرَاهَةُ لِلْقَوْلِ وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ السُّكُوتَ كَبِيرَةً لِوُرُودِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلِدُخُولِهِ فِي وَعِيدِ مَنْ لَمْ يُغَيِّرْ الْمُنْكَرَ؛ وَلِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ حُكْمًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَابًا لُغَةً وَشَرْعًا(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنه ينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلم أن يردّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلام زجرَه بيده، فإن لم يستطع باليدِ ولا باللسان، فارقَ ذلكَ المجلس، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كانَ من أهل الفضل والصَّلاح، كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثر(٣).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ) (٤).

من نواقض الأخوة:

١- سوء الظن: قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢]

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٣٤)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أن الحسن - وهو البصري - مدلس وقد عنعنه. وقد وجدت له شاهدا من حديث إسماعيل بن مسلم عن محمد بن المنكدر وأبي الزبير عن جابر مرفوعا. وانظر الصحيحة(١٢١٧).

(٢) سبل السلام (٢/ ٦٩٢).

(٣) الأذكار للنووي (ص: ٣٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٣١)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٢٦٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ)[١].

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عَن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه فإن من اشتغل بعيوبه عَن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عَلَيْهِ مَا يرى مثله من أخيه وإن من اشتغل بعيوب الناس عَن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه من عاب الناس عابوه ولقد أحسن الذي يقول

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا. . . عليك وأبدوا منك مَا كان يسترُ[٢]

٢-السخرية والاحتقار والهمز واللمز والتنابز: قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الحجرات: ١١]

يَنْهَى تَعَالَى عَنِ السُّخْرِيَةِ بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)[٣]، وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقِرِ لَهُ[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٦٦٢٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥).

(٣) أخرجه مسلم(١٤٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦).

٣-الحسد: والحسد من أعظم الأدواء التي تَنقُضُ الأخوة وتورث العداوة والبغضاء بين الناس، عادى إبليس آدم حقداً وحسداً وقتل قابيل هابيل أيضاً حسداً وبغضاً، قال تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [المائدة: ٣٠]

حسد أخاه فقتله، دب إليه الحسد، وهو داء الأمم السابقة، والحسد يغلى في قلب الشخص، والحسود شخص سيئ الأدب مع الله؛ لأنَّه ينظر إلى نعمة الله على أخيه، فيتمنى لو زالت عنه، قال تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ " [النساء: ٥٤]

قال القرطبي رحمه الله: وَالْحَسَدُ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ مَغْمُومٌ وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ حَاسِدٍ، نَفَسٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ لَازِمٌ، وَعَبْرَةٌ لَا تَنْفَدُ. **وَقَالَ عبد الله ابن مَسْعُودٍ**: لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ. قِيلَ لَهُ: وَمَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[١].

صور من الأخوة في الإسلام:

ومن أعظم صور الأخوة في الإسلام ما كان بين النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه في قصة الهجرة.

وفيها قال أبو بكر رضي الله عنه { فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ}[٢].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، النَّاسَ وَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ)، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ: أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ)[1].

وهذا من أعظم الأمثلة على الوفاء في الصحبة والأخوة فقد بلغ من وفاء أبى بكر أنه كان يعلم عن النبي ﷺ مالم يعلمه غيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهناك دروس نتعلمها مما حدث بعد هجرة المسلمين إلى المدينة عندما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار فمثلاً:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٩).

قطوف من

بستان الواعظين

سلسلة الأساليب النبوية
في
(الدعوة والوعظ والتربية والتعليم ومعالجة الأخطاء)

أولا: وقفات مع بعض الأساليب النبوية في التربية والتعليم

إن النبي ﷺ مرّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمر بها معلم أو مربٍّ في أي زمانٍ ومكان؛ فما من حالة يمر بها المربي أو المعلم إلا ويجدها نفسها أو مثلها أو شبهها أو قريباً منها في حياة النبي ﷺ لقد عاش النبي ﷺ الفقر والغنى، والأمن والخوف، والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، عاش اليتم والعزوبة والزوجية والأبوة. . فكان يتعامل مع كل مرحلة وكل حالة بما يناسبها.

ولقد ساس النبي ﷺ العرب، ودعاهم وعلَّمهم وأحسن تربيتهم؛ مع قسوة قلوبهم وخشونة أخلاقهم، وجفاء طباعهم وتنافر أمزجتهم، لقد كان حال العرب كما وصفهم جعفر بن أبي طالب. رضي الله عنه. بقوله: "كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف. . "[1]

فاحتمل النبي ﷺ ما هم فيه من جفاء، وصبر منهم على الأذى، حتى كانوا خير أمة بعد أن لم يكن لهم قيمة ولا وزن {وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة: ٢].

إن المتأمل في هدي النبي ﷺ وسيرته يرى كثرة الوسائل والأساليب التي انتهجها ﷺ في تعليمه للأمة وتربيته لها، وإن الإحاطة بكل ذلك قد لا يكون ممكناً ولا مناسباً في مثل هذه العجالة، ولكني أقف مع بعض هذه الأساليب النبوية التي أرى الحاجة ماسة إلى التنبيه عليها:

■ **أولاً: الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال:**

---

(١) مسند أحمد (١٧٤٠) وقال محققوه: إسناده حسن.

أحياناً نتعامل مع المتعلم والمدعو والمتربي على أننا أصحاب منَّةٍ عليه وتفضل، ولذا نرى أنه لا حاجة إلى القيام بشيء من الترحيب والحفاوة وحسن الاستقبال، بل قد نعتبر مجرد قبولنا له كافياً في الإكرام، وربما يشعر الأب والمربي والداعية أياً كان أن الحق له؛ فهو يطالب المتربي به. والحقيقة أن للأب والمربي حقاً كبيراً، لكن هذا الحق لن يتحقق إلا حين يُعرف الولد والمتربي والمدعو بذلك ويغرس في قلبه إكرام أهل الفضل من خلال أساليب تربوية مشوقة وخطوات يقوم بها الأب والمربي.

ولقد كان من يقابل النبي ﷺ ولو لأول وهلة يجد عنده من الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال ما يجعل النفوس تنجذب إليه وتأنس بحديثه.

جاء صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي ﷺ "مرحباً بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب..."[1]، كيف سيكون أثر هذا الترحيب وتلك الحفاوة في نفس صفوان، هل تراه يزهد في طلب العلم بعد ذلك؟ في بعض الأحيان يأتي الطالب ليشارك في حلقة قرآن أو منشط خيري فيقابل بشيء من البرود (. . لا بأس، اجلس مع زملائك. .) دون أن يسمع كلمة ترحيب، بل ربما استُقبل بعارضة من الشروط المشددة (شروط القبول) والتي ربما جعلته يعود أدراجه. إن مما يُذكر فيُشكر أن بعض دور التعليم والمناشط الخيرية ربما جعلت حفل استقبال وترحيب بالأعضاء الجدد ذا أثر كبير في بعث الرغبة في النفوس.

– وعن أبي رفاعة ـ رضي الله عنه ـ قال: "انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَّ رسول

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧٣٤٧) وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧١): حسن.

الله (وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسيٍّ حسبت قوائمه حديداً. قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها[١].

عجيب والله! يوقف الخطبة، ويجلس للمتعلم! أي تكريم فوق هذا وأي حفاوة، وكم سيصنع هذا الأسلوب من رغبة في نفس المتعلم والطالب! ! هل نستطيع نحن المعلمين أو المربين أن نقوم عن وجبة الإفطار. في المدرسة مثلاً. لنجيب الطالب عن مسألته؟ وحين يقطع علينا المتربي لذة النوم باتصال هاتفي لحل مشكلة، أو إجابة عن سؤال هل سيجد الترحيب منا وطيب النفس؟

– ولقد كان النبي ﷺ يستقبل الوفود ويحسن وفادتهم، ويتخذ لذلك لباساً خاصاً وخطيباً يخطب بين يديه إشعاراً منه بمزيد الاهتمام بهم؛ فلما أتى وفد عبد القيس رحب بهم ﷺ، فقال: "مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى[٢]. . "، ولما قدم الأشعريون أهل اليمن قال النبي ﷺ: "أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية"[٣]. إن القلم ليعجز عن التعبير عن جمال هذا الخُلُق وأثره في النفوس، ولو أردنا أن نقف مع كل موقف من هذه المواقف لنتأمل فيه ونقف على الأثر الذي يحدثه في النفوس لطال بنا ذلك، وفيما ذكرنا كفاية.

■ **ثانياً: الرفق والرحمة وحسن التأني:**

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: **١٥٩**].

---

(١) مسلم (٨٧٦).

(٢) البخاري (٥٣)، مسلم (٢٤).

(٣) البخاري (٤٣٨٨).

لقد جعل النبي ﷺ الرفق سبباً من أسباب الكمال والنجاح؛ فعن عائشة. رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"(١). وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: "من حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير"(٢).

على هذه القاعدة العظيمة في التعامل (الرفق والرحمة) كان تعامل النبي ﷺ مع أصحابه؛ فعن أبي هريرة. رضي اله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أُعَلِّمُكُم؛ فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها..."(٣)، فتأمل كيف ابتدأ النبي ﷺ بهذا الأسلوب اللطيف في التعليم، وكم سيكون له من أثر في نفس السامع. . ! !

وعن مالك بن الحويرث. رضي الله عنه. قال: أتينا رسول الله ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً؛ فلما ظن أنَّا قد اشتقنا أهلنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلِّموهم". . الحديث. إن هذه الرحمة من النبي ﷺ بهؤلاء الشباب فيها التوجيه إلى ضرورة مراعاة طبائع النفوس، الشيء الذي قد يغفل عنه بعض المربين بحجة (الجدية والحزم) فربما كلفوا النفوس ما لا تطيق، وحَمَلوها على ما يسبب لها الانقطاع.

وتتأكد الحاجة إلى الرفق والرحمة عند وقوع الخطأ غير المتعمد؛ لأن النفوس أحياناً قد يستثيرها الخطأ فتنسى التعامل معه بالرحمة والرفق، وتميل بقوةٍ إلى الردع والتأديب؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما

---

(١) مسلم (٢٥٩٣).

(٢) مسلم (٢٥٩٢).

(٣) أبو داود (٨)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦): حسن.

شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن[1].

وعن أنس. رضي الله عنه. قال: جاء أعرابي، فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذَنوب من ماء فأُهريق عليه"[2]، وفي رواية: فقال له رسول الله ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله. عزَّ وجل. والصلاة وقراءة القرآن".

تأمل هذا الموقف لو وقع في مسجد حيِّك، لو أن. رضيعاً. بال في مصلى النساء فكم ستتابع على أمه كلمات التعنيف وربما السب، وسيكون ذلك حديث جماعة المسجد، وأهل الحي أياماً.

إن التعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تَفَهُّم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف بخلاف ما لو صَحِب ذلك نوعٌ من التوتر.

■ **ثالثاً: الثناءوالتشجيع:**

الثناء والتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي كريم، يراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقاً، وأن يُؤمَن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف.

---

(١) مسلم (٥٣٧).

(٢) البخاري (٢٢١).

– عن أبي هريرة. رضي الله عنه. قال: يا رسول الله! مَنْ أسعد الناس يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لِمَا رأيت من حرصك على الحديث.... "[1].

– وعن حذيفة. رضي الله عنه. قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ، حق أمين. قال: فاستشرف لها الناس، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح[2] (وفي رواية) فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة[3].

– وعن أُبي بن كعب. رضي الله عنه. قال ﷺ: "أبا المنذر! أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أبا المنذر! أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران: ٢] قال: فضرب صدري، وقال: لِيَهْنَ لك يا أبا المنذر العلم"[4].

انظر كم في هذه الأحاديث من تشجيع واهتمام ومزيد رعاية وعناية.

كم يبعث التشجيع في نفس المتعلم من حب للعلم، وكم يساعد في تسارع خطوات التربية نحو الأمام، وذلك على عكس ما يأتي به كثرة التأنيب والعتاب واللوم، أو السكوت عن الثناء عند كل نجاح وتفوق.

والثناء والتشجيع قد يستفاد منه في تدعيم سلوك معين أو التوجيه إلى عمل مهم يحسن اكتسابه.

---

(١) البخاري (٩٩).

(٢) مسلم (٢٤٢٠).

(٣) مسلم (٢٤١٩).

(٤) أبو داود (١٤٦٠) وقال الألباني في صحيح أبي داود (١٤٦٠): صحيح.

– في حديث ابن عمر. رضي الله عنهما. في الرؤيا التي رآها فقصها على أخته حفصة. رضي الله عنها. فقصتها على النبي ﷺ، فقال: "نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل". فيا ترى ما أثر ثناء النبي ﷺ على ابن عمر. رضي الله عنه؟ (قال سالم: فكان عبد الله، بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً)[1].

إن كثيراً من القدرات، وكثيراً من أصحاب الكفاءات يصابون بالضمور، بل ربما يموتون وتموت مواهبهم وقدراتهم؛ لأنهم لا يجدون من يدفعهم بكلمة ثناء، أو يرفعهم بعبارة تشجيع.

إننا حين نثني على أصحاب القدرات لسنا نحفظ ونضمن جهد المجتهد منهم فحسب، بل إننا نحرك نفوساً ربما لا يحركها أسلوب آخر..... ! !

(١) البخاري (٣٧٣٨ و٣٧٣٩).

من آفات الدعاة
(الاستعجال)

لما كان الدعاة إلى دين الله -عز وجل- أكثر الناس اتصالا بشرائح المجتمع، وأكثر الناس تفاعلا وتواصلا معهم، وتأثيرًا فيهم وتأثرًا بهم، وطريق الدعوة شاق طويل، ومليء بالآفات والمعوقات، وربما يرجعون بسببها عن الطريق، ويقعدون عن الدعوة، ويتخلفون عن المسير، فتحرمهم الوصول إلى غايتهم، وإصابة هدفهم، ومَنْ استوحش المضي في هذا السبيل بسبب قلَّة الناصر أو المعين، أو استثقل مطارق الأذى؛ فليس له في الريادة نصيب.

هذه الآفة هي "العجلة"، أو إرادة تغيير الواقع في أقل من طرفة عين، دون نظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع، ودون إعداد جيد للمقدمات، أو للأساليب، والوسائل، بحيث يغمض الناس عيونهم ثم يفتحونها، أو ينامون ليلة ثم يستيقظون، فإذا بهم يرون كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي في حياتهم، ووجد كل إنسان إنسانيته، وخلصت الفطرة من كل ما يكدرها ويعكر صفوها!.

ومن هنا قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

والاستعجال معناه: طلب الأمر قبل مجيئه، وتحريه قبل أوانه(١).

ثالثا: من مظاهر الاستعجال:

١- ضم أشخاص إلى قافلة الدعاة قبل الاستيثاق، والتأكد من مواهبهم، وقدراتهم، واستعداداتهم.

٢- الارتقاء ببعض الدعاة إلى مستوى رفيع قبل اكتمال نضجهم، واستواء شخصيتهم.

٣- القيام بتصرفات طائشة صغيرة تضر بالدعوة، ولا تفيدها.

أسباب الاستعجال:

١- **النشأة الأولى:** والتي يمكن أن تكون الطبيعة التي خلق عليها، أو البيئة التي نشأ فيها.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٨).

أما عن الطبيعة التي خلق عليها: فإن الاستعجال طبيعة مركوزة في فطرة الإنسان كما قال المولى تبارك وتعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. وقال: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه، وإلجامها بلجام الشرع دفعته إلى الاستعجال غالبا.

وأما عن البيئة التي نشأ فيها: فقد ينشأ المرء في بيئة يغلب عليها التسرع وعدم التثبت، والعجلة في اتخاذ القرارات والمواقف، والمرء في صغره يتأثر أيما تأثُّر، وينطبع في ذهنه ومخيلته هذا السلوك، ويصبح سمتًا لازمًا له طوال حياته، لذلك قالوا قديمًا: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، والرسول -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الكذب على الصغير عندما رأى الأنصارية تنادي على ولدها لتعطيه؛ لأن ذلك سيؤثر سلبًا على الطفل الصغير، فينشأ معتادًا على الكذب وأجوائه.

٢- الحماس الزائد، والعاطفة غير الراشدة: مثل هذه الأمور إن لم تكن موزونة بميزان الشرع كانت ضارة على صاحبها؛ لأنها تسلبه الحكمة والإدراك، وتجعله أهوج كثير الخطأ، وربما أدت إلى أعمال تؤذي أكثر مما تفيد، وتضر أكثر مما تنفع، لذا كان مثل هذا التوجيه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

٣- طبيعة العصر: قد تكون طبيعة العصر هي الباعث على الاستعجال، إذ إننا نعيش في عصر يمض بسرعة ويتحرك فيه كل شيء بسرعة، فالإنسان يكون هنا وبعد ساعات يكون في أقصى أطراف الأرض، بسبب التقدم في وسائل المواصلات، والإنسان يضع أساس بيت اليوم ويسكنه غدا بسبب التمكن من وسائل العمارة الحديثة، وقس على ذلك أشياء كثيرة في حياة الإنسان، فلعل ذلك مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال لمواكبة ظروف العصر و التمشي معه.

٤- شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب تغييرها: واجب المسلم حين يرى منكرا أن يعمل على تغييره وإزالته، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)(١).

بيد أنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور، وإنما ذلك مشروط بألا يؤدى إلى منكر أكبر منه، فإن أدى إلى منكر أكبر منه وجب التوقف بشأنه، مع الكراهة القلبية له، ومع مقاطعته، ومع البحث عن أنجع وأنجح الوسائل لإزالته، والأخذ بها، والعزم الصادق على الوقوف في أول الصف حين تتاح فرصة التغيير.

٥- العجز عن تحمل المشاق، ومتاعب الطريق: بعض الدعاة يملك جرأة وشجاعة وحماسا لعمل وقتي، لكنه لا يملك القدرة على تحمل مشاقّ ومتاعب الطريق لزمن طويل، مع أن الرجولة الحقة هي التي يكون معها صبر، وجلد، وتحمل، ومثابرة، وجد، واجتهاد حتى تنتهي الحياة. لذلك تراه دائماً مستعجلاً ليجنب نفسه المشاق و المتاعب، وإن تزرَّع بغير ذلك. وقد أفرزت الحركة الإسلامية في العصر الحاضر صنفاً من هذا، عجز عن التحمل والاستمرار فاستعجل وانتهي، وصنفاً آخر أوذي في الله عشرات السنين فصبر، وتحمل واحتسب لأن الظروف غير ملائمة، و الفرص غير

(١) البخاري (٢٤٩٣).

مواتية، و العواقب غير محمودة و المقدمات ناقصة أو قاصرة، وكانت العاقبة أن وفقهم الله وأعانهم فثبتت أقدام على الطريق ولا تزال.

٦- الانبهار والاغترار بشخصية المتكلِّم، والالتفات لسمته ودَلِّهِ الظاهر، وترك تقييم الكلام وزنته وفحصه: فالناس من طبائعها تصديق ذوي الهيئات التي تدل على الصلاح، والثقة فيما يقولون، وقد لا يدركون أن النفوس محتقنة، والثارات قديمة بين المتكلِّم والمتكلَّم فيه، وأيضًا قد يدرون طبيعة كلام الأقران في بعضهم البعض.

٧- عدم وجود منهج يمتص الطاقات، ويخفف من حدتها: نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل. ولعل ذلك هو السر في أن الإسلام غمر المسلم ببرنامج عمل في اليوم و الليلة، وفي الأسبوع وفي الشهر و في السنة وفي العمر كله، بحيث إذا حافظ عليه كانت خطوته دقيقة، وكانت جهوده مثمرة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧].

٨- الاندفاعُ والانفعال، فقد يؤمن البعضُ بفكرةٍ ما، أو بعدلِ قضيةٍ مُعينة، فيدفعه ذلك للعجلة في السير إلى تحقيقها على أرض الواقع، غافلا عن السنن الكونية، والإعداد السابق لتقبل المجتمع لما يؤمن به ويعتقده إن كان صوابا.

٩- العمل بعيدا عن ذوي الخبرة والتجربة: الإنسان يولد ولا علم له بشيء في هذه الحياة كما قال سبحانه: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. ثم يبدأ التعلم من الكتب وبواسطة التجربة، و الممارسة، وبكل طريق يستطيع من خلاله أن يحصل العلم النافع الجاد المثمر.

يقرأ البعض أو يتصور معنى معينا، ويسعى لتطبيقه على المجتمع أو على نفسه؛ ولكنه لا يعلم أنَّ هذا التصور يحتاج إلى إعداد مناط معين يتكيَّف معه ويعيش فيه، فقيام الأخلاق والمجتمع الإسلامي يحتاج إلى نفوس طيبة مزكاة، تربَّتْ على معاني الانقياد للشَّرع.

والداعية الواعي، ينتفع بخبرات وتجارب من سبقوه على الطريق؛ ليوفر على نفسه الجهد، والوقت والتكاليف، أما إذا شمخ بأنفه، ونأي بنفسه، وبدأ العمل بعيدا عن ذوى الخبرة والتجربة فستكون له أخطاء جسيمة، وربما مميتة قاتلة، تصرعه من الجولة الأولى.

١٠- الغفلة عن سنن الله في الكون، وفي النفس، وفي التشريع:

من سنن الله في الكون: خلق السموات والأرض في ستة أيام، وخلق الإنسان والحيوان والنبات على مراحل، مع أنه جل وعلا قادر على خلق كل ذلك وغيره بقوله "كن".

ومن سنن الله في النفس: أنها لا تضحي ولا تبذل ولا تعطى إلا إذا عولجت من داخلها، واقتلعت منها كل الحظوظ، وأدركت قيمة وفائدة التضحية والبذل والعطاء ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. وذلك لا يتم بسهولة ويسر، وإنما لابد له من جهد ووقت وتكاليف.

ومن سنن الله في التشريع: أن الخمر حرمت على مراحل وكذلك غيرها.

إذا نسي الداعية هذه السنن كانت السرعة والعجلة، أما حين تظل ماثلة أمام عينيه، حاضرة في ذهنه وفؤاده، فإنها تهديء من نفسه، وتضبط حركته، وتبصره بموضع قدميه.

١١- الغفلة عن سنة الله مع العصاة و المكذبين: من سنة الله مع العصاة و المكذبين، الإمهال، وعدم الاستعجال، قال ربنا تعالى وتقدس: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

وإذا غفل الداعية عن هذه السنن استعجل قائلاً: نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسكوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم بعد ذلك من طريق الناس.

١٢- الاغترار ببريق الألفاظ: فقد يقرع أذن الداعية طائفة من الألفاظ المعسولة، والعبارات الخلابة، وإذا به يغتر بها، فيحسبها ذهبًا وهي تراب، فإذا ما أصغى السمع وحرص على مثل هذه الألفاظ وعلى الاستزادة منها، كانت هلكته من حيث يظن

النجاة والنفع، فيتعجل في الحكم على أمور أو فعل أشياء نهى الله عنها، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أو أنهم على شيء.

١٣- صحبة نفر من ذوي العجلة، وعدم التأني: المرء على دين خليله، والصاحب ساحب، والطباع سرّاقة، وكلما كان المرء ضعيف الشخصية كان إمعة في سلوكه، فيحاكي ويقلد بلا روية ولا بصيرة، والطبع يعدى، وإذا لم يحسن المسلم اختيار صاحبه، فإنه يقتدي به لا محالة في ما يعتنق وفي كل ما يسلك - سيما إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية -.

١٤- الولاء والبراء للمشايخ وغيرهم في المجال الدعوي: بحيث لا يمكن مراجعة قراراتهم وتصنيفاتهم الدعوية، لهذا الداعية أو هذا الخطيب، فيكون الدليل والحجة عند كثيرين: هذا ما قاله الشيخ فلان. أو هذا ما ذهب إليه.

وهذا الأمر من أكثر أسباب شيوع حالة التنافر والتجاذب بين العاملين في مجال الدعوة، فكم من داعية أو خطيب وأدته الشائعات، وقتلته الكلمات، وقُضي على علمه وخيره، بسبب الوشايات والشائعات والتسرع في الحكم عليه.

١٥- الجهل بأساليب التثبت؛ فقد يجهل الداعية أساليب وطرق التثبت، فيعجل ويتسرع في إصدار القرارات أو يحاكي المتعجلين، ذلك أن للتثبت العديد من الوسائل والطرق؛ منها:

أولا: رد الأمر إلى الله ورسوله، وإلى أولي العلم وأهل الذكر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

ثانيا: سؤال صاحب الشأن عن صحة الخبر وبواعثه وأسبابه، ولنا فيما فعله الرسول ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة يوم فتح مكة الأسوة الحسنة في ذلك، حيث لم يبادر بعقوبته رغم جسامة ما اقترافه، إنما أحضره وقرره بما فعل، فأقر حاطب، ثم سأله ﷺ

عن دوافعه عن الفعل ومبرراته، ورغم أن المبررات لم تكن مقنعة، إلا أن الرسول ﷺ قد عذره، ووهب فعلته الرديئة لسالف إحسانه(١).

ثالثا: حسن الإصغاء والاستماع الجيد؛ وذلك بالمراجعة والاستفهام لفحوى الكلام وحقيقة الخبر، فقد يتردد كلام وأخبار لا يراد ظاهرها، ولا تدل على معناها الحقيقي، فعندها يحتاج الكلام للإيضاح، حتى لا ينتج عنه آثار ضارة وربما تكون قاتلة.

رابعا: التجربة والخبرة، والمشاهدة والمقارنة، فمعايشة الأحداث، ومعرفة الأشخاص، تعطي الداعية رصيدًا كبيرًا للتجربة من الفهم والبصيرة بمرامي الكلام وطبائع الأشخاص، والمنافسة بين الأقران، وتمكنه من الحكم ببصيرة على الأخبار والآراء بحق الأشخاص والهيئات.

الداعيـــة بيـــن الفتـــور والاستعجـــال:

---

(١) أخرج البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤/ ١٦١) من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: (انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا)، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ صَدَقَكُمْ)، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

المقصود من هذا هو تحديد موقع الداعية، أن يكون وسطا بين الفتور والاستعجال، على معنى أنه مع المقدمات كخلية النحل؛ دائب النشاط والحركة، لا يقصر ولا يتوانى لحظة من ليل أو من نهار، ولا يضيع فرصة تتاح له، أما أوانه مع النتائج؛ فهو هادىء متريث متأن غير متهور، لا يستعجل شيئا قبل أوانه وإلا عوقب بحرمانه.

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، يسهل على كثيرين أن يتخيلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا، ولكن قليلا من هذا الكثير يثبت عند العمل.

رَبِّ وَا مُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ السَّبَايَا الْيُتَّمِ
لاَمَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُلاَمِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

ذكر الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله –: إن الأمة الخاملة صفرٌ من الأصفار، لكن إن بعث الله لها مؤمنًا صادق الإيمان داعيًا إلى الله، صار صفُّ الأصفار مع الواحد مائةَ مليون، والتاريخ مليء بالشواهد على ما أقول.

على الدعاة إلى الله –عز وجل– أن يبذلوا جهدهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وألا يستعجلوا جني ثمار ما بذلوه من الجهد في الدعوة إلى الله عز وجل، فإن الله –تبارك وتعالى– أكثر على نبيه –صلى الله عليه وسلم– من الأمر بالصبر، والنهي عن الاستعجال قال الله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فعليك أيها الداعية أن تغرس وتحرث، وأن تترك الإنبات لله –عز

وجل-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦](١).

فما أجدر رواك الصبيح أن تحصِّل وراءه الرأي الصحيح.

حتى تصادف أُترجًّا يطيب معًا. . . حملاً ونَورًا فطاب العود والورق

فما أقبح المرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها بوم، كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: أما البيت فحسنٌ وأما ساكنه فرديءٌ.

فكن أيها الأخ عالمًا، وبعلمك عاملاً، تكن من أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، واحذر الشيطان أن يسبيك، ويغريك بأعراض الدنيا وزخارفها، فيجعلك من أوليائه ويخوفك بوساوسه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ولا يخدعنك عن طلب ذلك وإدراكه ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥].

فقد وصفهم الله تعالى بالصمم والعمى إذ قال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

ثم ذمهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١].

ثم فرق بينهم وبين من ضادهم فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

---

(١) انظر غير مأمور: آفة الاستعجال: للشيخ حسن عبدالعال محمود، والعجلة: د. أمين بن عبدالله الشقاوي، والأناة: د. محمد بن لطفي الصباغ، والاستيعاب والاقتباس في الدعوة: د/عمر بادحدح، ولكنكم قوم تستعجلون: إيهاب إبراهيم.

فمن عمل لآخرته بورك في كيله ووزنه، وحصل له منه زاد الأبد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

ومن عمل للدنيا خاب سعيه، وبطل عمله كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦].

قيل: لا يستطع الوصول من ضيع الأصول.

فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور[1].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: ٦٠).

من واحة الشعر الدعوي

كُنْ قَابِلَ الْعُذْرِ، وَاغْفِرْ زَلَّةَ النَّاسِ وَلَا تُطِعْ يَا لَبِيباً أَمْرَ وَسْوَاسِ
فَاللهُ يَكْرَهُ جَبَّاراً يُشَارِكُهُ وَيَكْرَهُ اللهُ عَبْداً قَلْبُهُ قَاسِي
هَلاَّ تَذَكَّرْتَ يَوْماً، أَنْتَ مُدْرِكُهُ يَوْماً سَتُخْرِجُ فِيهِ كُلَّ أَنْفَاسِ
يَوْمَ الرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ شَدِيدَ الْبَطْشِ وَالْبَاسِ
وَيَوْمَ وَضْعِكَ فِي الْقَبْرِ الْمُخِيفِ وَقَدْ رَدُّوا التُّرَابَ بِأَيْدِيهِمْ وَبِالْفَاسِ
وَيَوْمَ يَبْعَثُنَا، وَالْأَرْضُ هَائِجَةٌ وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ، تَدْنُو مِنَ الرَّاسِ
وَالنَّاسُ فِي مُنْتَهَى جُوعٍ، وَفِي ظَمَإٍ وَفِي شَقَاءٍ، وَفِي هَمٍّ وَإِفْلاَسِ
يَفِرُّ كُلُّ امْرِئٍ مِنْ غَيْرِهِ فَرَقاً هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُ هَذَا الْيَوْمِ أَمْ نَاسِي؟!
سَيُرْسِلُ اللهُ أَمْلاَكاً مُنَادِيَةً هَيَّا تَعَالَوْا لِرَبٍّ مُطْعِمٍ كَاسِي
هَيَّا تَعَالَوْا إِلَى فَوْزٍ وَمَغْفِرَةٍ هَيَّا تَعَالَوْا إِلى بِشْرٍ وَإِينَاسِ
أَيْنَ الذِينَ عَلَى الرَّحْمَنِ أَجْرُهُمُ فَلاَ يَقُومُ سِوَى الْعَافِي عَنِ النَّاسِ

تمت بحمد الله

الفهـــرس

أهمية الأخلاق في حياة الدعاة ٢
فضل الغني في شرح آية الكرسي ٥
قبسات من مشكاة النبوة ٢١
إصلاح البيوت ٣١
من تصاحب ٣٩
قطوف من بستان الواعظين ٤٩
سلسلة الأساليب النبوية في (الدعوة والوعظ والتربية والتعليم ومعالجة الأخطاء) ... ٥٠
وقفات مع بعض الأساليب النبوية في التربية والتعليم ٥٠
من آفات الدعاة (الاستعجال) ٥٧
من واحة الشعر الدعوي ٦٧